الحمـــــامة الطريدة

للأســـــتاذ محمود الخفيف

في وحدة سامرت فيها الأسى ... طافت بي الذكرى فلم أهجع
شكوت لليل الضنى والجوى ... والوجد والسهد وهذا الدجى
زادت غواشي الهم أسدافه
ودلت الوهم على مضجعي

في ليـــلة غارقـــة الأنجم ... ضل بها الفجر عن المطلع
لكل ألوان الأسى تنتمي ... حلكتها من همي الأقتم
الذئب مقرور بها هاجع
والجن لم تأنس إلى موضع

الليل جهم ، صرصر ريحه ... صفيرها يزداد في مسمعي
أجش وحشيُّ الصدى نوحه ... مرتعش من قره دوحه
أطل لا تبصر عيني سوى
أشباحه في الأفق الأسفع

واعجبا ماذا أرى في الظلام ... والصرصر الهوجاء لم تقلع ؟
يقظان إذ أبصر لافي منـام ... ورقاء في سمعيَ منهـا بغام
قد أقبلت ماهوفة في الدجى
على هدى المصباح في مخدعي

حطت على نافـذتي خائفه ... مادونها في الليل من مفزع
نازفـة واهـــزنا راعفـه ... بالنوث في أنلتهـــا هاتفه
كم ذا رنت صوبي في لهفة
رف لها الخافق في أضلعي

وهنـــانة تلهث في زاويه ... كجـــاهد أفلت من مصرع
من جارح أحسبهـا ناجيه ... تخفيه عني الظلمة الغاشيه
وربما كان على خطوة
لو لم ير المصباح لم يرجع

مددت بالمـاء يدي في وعاء ... فأجفلت من ذلك المشرع
تلهث لا تطلب غير الثواء ... تنكر ما أبدي لها من رثاء
مشبهتي في الوجد لا تنفري
ما كنت يا ورقاء بالمدعي

أنت وما أوجع هذا الأنين ... حسبي ما في خافق الوجع
طريدة الظلمة ، قلبي الحزين ... أبكاه هذا الحزن لو تعلمين
بكاؤك المكتوم كم هزني
والأصل أن تلهى وأن تسجمي

كم هجت يا ورقاء أشجانيه ... أنا الذي كم أسبلت أدمعي
كم ذا بكى عان فأبكانيه ... وكم بكت في الطرس ألحانيه
طالبة المأوى كلى واشربي
آمنة في جيرتي واهجعي

كم صورة مثلت في خاطري ... يشقى بهـا كل فـؤاد بي
وارحمتا للسامـــد الساهر ... الواجد المنفرد الشـــاعر
مؤنستي كم صورة للأسى
ألقى بهـا في قلبي المترع

فيـك خيال للشقي الطريد ... لم يأوه في الأرض من موضع
مروع في كل آن شريد ... تسلمه الدنيا لخوف جديد
جهم العشايا منذر ليله
في صبحه بالحادث المفزع

وفيك طيف البائس المعدم ... منكس الهامة مستضرع
مبتئس النظـــرة مستسلم ... عان ، هنا أو هاهنا يرتمي
بكل باب أن مستصرخا
لم يرو منه الغل أو يشبع

وفيك يا ورقاء ذل الضعيف ... لم ينجه الضعف ولم يشفع
أضناه في دنياه كسب الرغيف ... في زحمة العيش هزيل لهيف
من دمه كم عاش ذو قوة
لم يدر ما الرحمة أو يقنع

وفي جراحاتك مرأى الجريح ... خاض الردى في هوله المفظع
ممزق ظمآن عان طريح ... في ركنه بعد الفضاء الفسيح
يذكر طعم الموت في موطن
يا هوله للموت من مرتع

أطائر ، أم أنت روح شفيق ... جاء يواسيني ويبكي معي ؟
وهم به في الوجد قلبي خايق ... غير الأسى ما إن له من رفيق
مشبهتي في الوجد كم دمعة
ذرفتها في الليل أن تدمعي

الخفيف